

الأستاذة: غنيمة تومي

قسم الآداب واللغة العربية

كلية الآداب واللغات

جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخص

تتناول هذه الدراسة السِّيَاق اللُّغَوِيّ فِي مفهوم بعض لسانِيّ الغرب و نظرائهم العرب الذين آمنوا بالسِّيَاق و دوره الفعّال، باعتباره آلية من آليات حيازة المعنى و تقويم الدلالة، بل و شرطا أساسيا في فهم الخطاب، و يمثّل السِّيَاق اللُّغَوِيّ أوّل شقّي النظرية السِّيَاقية ((Contextual Theory))، أمّا شقّها الآخر فهو السِّيَاق غير اللُّغَوِيّ كما حدّد ذلك اللُّغَوِيّ الإنجليزيّ و مؤسس هذا الاتجاه جون ريبير فيرث، و يهدف هذا المقال إلى تجلية معالم النظرية و حدود انتشارها، مع التركيز على الجانب الذي يتوافق و عنوان الدراسة من النظرية ، إضافة إلى محاولة رصد و تبين ما آلت إليه على يديّ متبنييها و مؤيديها فيما بعد ، وسنرى كيف تجلّت ملامح التأثير الذي وصل ببعض اللُّغويين إلى حدّ الانبهار و المغالاة في الإيمان بقدرات النظرية.

#### 1. السِّيَاق اللُّغَوِيّ عند الغربيين:

يُعدُّ عالم اللُّغة الإنجليزيّ جون فيرث John Firth (1890م-1960م) أحدَ رواد البحث اللِّسَانِيّ، والقطب المؤسس للمدرسة الاجتماعية الإنجليزية أو مدرسة لندن، إحدى أهمّ أربع مدارس عرفها الدرس اللُّغَوِيّ الحديث(\*)؛ فقد أنشأ أوّل قسم لعلم اللُّغة في بريطانيا، وكان الرائد في تدريس علم اللُّغة العام في الجامعة البريطانية عام 1944م<sup>(1)</sup>، و في خضمّ بحوثه ودراساته وّضع نظرية لغوية عامة جاءت محصلة للدراسات اللُّغوية التي ظهرت في بريطانيا آنذاك؛ حيث كانت له اهتمامات

خاصةً وولع شديد باللغات الشرقية، لا سيما زمن تواجده بالهند، وتأثره بالأعمال اللغوية الهندية القديمة، لهذا فإن (مدرسة لندن اللغوية) كانت صنفاً من اللغويات التي كان فيه التنظير محكوماً بتألف صحي مع حقائق وواقع الألسنة الغريبة، وكانت أهم إنجازاته اللغوية " نظرية السياق".

لقد ذاع صيت هذه النظرية، ومألت الأرجاء بما تضمنته من أفكار لغوية علمية مقنعة إلى حد كبير، وفي إطار منهجي محدد المعالم، وهي أساساً إحدى النظريات اللغوية الحديثة التي تعرضت للمعنى ومشكلاته (\*\*)، وتبني على أمرين اثنين:

1- السياق اللغوي أو تحليل النص وفق مستوياته اللغوية والإفاد من القرانين

المقالية المتوفرة .

2- السياق الحالي أو المقامي أو سياق الموقف.

وغالباً ما يذكر الاثنان معاً في كلام اللغويين، لذلك سأكتفي باجتزاء ما هو منوط

بي إيرادها وواجب علي ذكره انسجاماً و عنوان المقال.

لقد انبرى فيرث في ضوء دراسة المعنى يبحث جملة الطرق الدقيقة التي تمكن من المعنى وتوصل لفحوى النص، فرأى أن المعنى هو مجموعة خصائص الكلمة التي لا استقلالية لها ولا ذاتية لدلالاتها، فهي "... ليست بذات معنى مستقل قائم بذاته، وأن وجودها ومعناها شيئاً نسبياً، يمكن ملاحظة كل منهما في سياق غيرهما من الكلمات والمعاني، أو عن طريق التقابل بينهما، وعلى ذلك فإن ما تدل عليه الكلمة ينحصر في وظيفتها التي لا تعرف إلا بمعرفة وظائف غيرها من الكلمات..."<sup>(2)</sup>.

والمعنى إذ ذاك ليس شيئاً في الذهن أو العقل، ولا علاقة متبادلة بين الصورة السمعية والصورة الذهنية للشيء، أو بين الدال والمدلول، واللفظ والمعنى بل كما أكد أكثر من مرة وفي أكثر من موضع هو: "...الوظيفة في السياق حالاً ومقالاً"<sup>(3)</sup>، أو بعبارة أوضح "...المعنى كله وظيفة في السياق"<sup>(4)</sup> تحدده العلاقة بين المواقف وتوزيع العناصر اللغوية، ومن الأمثلة التي ضربها فيرث في شرح وجهة نظره الجملة الإنجليزية<sup>(5)</sup> say when (قل متى) التي تتعدد دلالاتها بتعدد السياقات الممكن ورودها فيها وبمصاحباتها الصوتية.

مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر  
يتحقّق المعنى من منظور فيرث بربط نتائج تحليل العناصر اللغوية الواقعة في  
سياق معيّن بعضها ببعض بعد تحليل الحدث الكلامي إلى عناصره المكونّاتية وفق  
مستوياته اللغوية، وفي هذا الصّدّد يقول: "أقترح تقسيم المعنى إلى سلاسل من الوظائف  
الجزئية، وسوف تعرف كل وظيفة بحسب استعمالها شكلاً أو عنصراً في لغة معينة، من  
خلال علاقتها بنصّ ما، ويمكن القول بأنّ المعنى عبارة عن علاقات سياقية معقّدة، وعلم  
الأصوات والقواعد والمعاجم والدلالة، كلّ واحد من هذه الأقسام يأخذ أجزاءه في النصّ  
المناسب المعقّد...<sup>(6)</sup>، ولأنّ اللّغة بطبيعتها نظام معقّد متشعب الجوانب، فإنّه ليس في  
الوسع دراستها دفعة واحدة، ولا مفرّ من التركيز... على هذه الجوانب على مراحل  
متعدّدة بواسطة استخدام مداخل مختلفة يطلق عليها اسم: مستويات التحليل اللغوي<sup>(7)</sup>  
والتي أجمع كثير من اللغويين على جعل المستوى الصوتي أولها تطرّقاً.

أ - المستوى الصوتي: و هو ذلك النمط من الدراسة لأصوات اللّغة  
باعتبارها البنية الأساسية للغة والمظهر المادي لها، وقد أوجد الفكر الإنساني المعاصر  
منوالين لتناول الظاهرة الصوتية، وهما علم الأصوات اللغوي (phonetics) وعلم  
الأصوات الوظيفي (Phonology).

أمّا الأول فيعرف بأنّه العلم الذي يتناول الأصوات اللغوية كوحدات صوتية  
مجرّدة منعزلة عن السياق الصوتي الذي ترد فيه، فيكون الاهتمام بالوجه المادي  
لأصوات اللّغة البشرية... أي بدراسة العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية المعنوية في  
تحقيقها الملموس وبمعزل عن وظيفتها اللغوية أي عن استخدامها في التواصل (...)  
وهو بذلك يعنى بمادة الأصوات لا بقوانينها أو مادتها، ولا يقتصر ميدان هذا العلم  
على البحث في أصوات لغة بعينها بقدر ما يعنى بالصوت اللغوي في عمومته أي  
بالمسائل العامة والخصائص المشتركة في جميع اللغات<sup>(8)</sup>.

والآخر علم الأصوات الوظيفي؛ وهو العلم الذي يضع الوظيفة قبل المادة فيدرس  
وظائف الأصوات في لغة معينة، ويحدّد العناصر المكوّنة لنظامها اللغوي، وطرق  
تناسقها في أشكال بعينها، كما يتناول المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم والوقف  
والقوانين التي تخضع لها كلّ واحدة، وكذا العوامل والنتائج اللغوية المترتبة عن كلّ  
منها<sup>(9)</sup> فيكون الصوت في سياقه محور الدراسة والاهتمام؛ حيث إنّّه لا توجد في  
اللغات أصوات لغوية منعزلة إلاّ بنوع من التجريد؛ إذ إنّها في كلّ لغة تكوّن نظاماً

متربطاً، ولكن معنى ذلك أيضاً أنها لا تستعمل على انفراد، فلا يتكلم إلا بمركبات من الأصوات اللغوية، فأقلُّ جملةً وأقلُّ كلمةً تفترض سلسلةً من الحركات النطقية المعقدة وقد تركبت فيما بينهما<sup>(10)</sup> ومن هنا تتجلى أهمية الدرس الوظيفي للصوت.

يهتم التحليل الوظيفي للأصوات بدراسة الفونيم<sup>(11)</sup> المكوّن للنظام اللغوي باعتباره الوحدة الصوتية أساس هذا التحليل، ويُعرّف بأنه " أصغر وحدة صوتية مجردة تمايزية لا تحمل بحد ذاتها أي معنى...<sup>(12)</sup>، ويختلف عدد الفونيمات من لغة أخرى، إلا أنه يتراوح بين الخمسة عشر والخمسين فونيمًا، والغالب في اللغات ثلاثون.

وقد شكّل الفونيم نظرية قائمة بذاتها، ظهرت مع محاولات المنظرين والأصواتيين وضع ألف بائيات اللغات، واهتمامهم بكيفيات النطق وتنبؤهم لوظائف مختلف الأصوات، وقد كان فيرث من أشد المهتمين بهذا الجانب الصوتي، وكان يرى أن النظام الصوتي في أي لغة يتكوّن من مجموعة نظم (polysystemic) من الاختيارات التبادلية ومن المعنى، لأن هناك تلازمًا ما بين الصوت والمعنى، فكل اختيار لصوت ما هو إلا اختيار لمعنى، و كان أكثر ما تميّز به عمل فيرث الصوتي هو الفونولوجيا التطريزية prosodic- phonology، ويقوم التحليل التطريزي على عنصرين أساسيين هما:

1- الوحدات الفونيمائية: ويقصد بها وحدات فونولوجية تترتب الأصوات فيها حسب ما بينها من علاقات قائمة على التعاقب.

2 - المعلم التطريزي: أو التحبيري وهو معلم يتعدى المقطع الواحد والكلمة الواحدة ليبلغ الجملة أو القول، ومن أنواعه: النبر والتنغيم والوقف والجهارة والإيقاع والطول والسرعة، ومعالم صوتية ثانوية كالتشفيه، والتأنيف<sup>(13)</sup>.

ولعلّ اهتمام فيرث بالجوانب الصوتية للألفاظ في السلسلة الكلامية مرده إلى دور تلك الملامح أو المصاحبات الصوتية للكلام في تحديد المعنى، لاسيما النبر والتنغيم والوقف، أمّا النبر stress فهو وضوح سمعي أو بروز نسبي لفونيم أو مقطع في الامتداد الخطي للأصوات الملفوظة نتيجة الضغط أو الارتكاز<sup>(14)</sup>، ومن خلاله يتحدّد معنى الجملة كالاستفهام أو الاستخبار أو الاستهزاء و غيرها، وهي معاني نحوية لا صرفية إذ لا وظيفة صرفية للنبر في العربية؛ لأنه لا يفرّق بين الأسماء والأفعال<sup>(\*\*\*)</sup>، أمّا التنغيم

مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر  
intonation فهو " .. الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق ... " (15)، أو "درجة ارتفاع الصوت أو انخفاضه على مستوى الجملة أو العبارة.. " (16)، وجملة بسيطة ك: (السلام عليكم) يتعدّد معناها بتعدّد طرق تنغيمها، فبتنغيم معيّن تدل على التّحية وبتنغيم ثانٍ تدلّ على التّهكّم والسّخرية ، وبتنغيم آخر توحى بغضب المتكلّم أو رضاه " ... فالكلمة الواحدة أو الجملة قد تقال بنغمات متعدّدة ، فيتغيّر معناها النحويّ والدلاليّ مع كلّ نغمة ، بين الاستفهام والتوكيد والتقرير لمعانٍ مثل: الفرح والحزن والشك والتأنيب والإعراض والتحقير، حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي نشأت عنه المعاني المتباينة " (17).

والوقف pause هو فونيم إضافي أو فوق تركيبى لمصاحب للكلام، وعنصر من العناصر المميزة للنظام الصوتي للغة، ويقوم بدور وظيفي في تحديد دلالة ما ينطق به المتكلّم، وعدم الالتزام به في الجملة يؤدّي إلى الخطأ (18)، ومثال ذلك قولك ( مَنْ اجتهدَ وجدَ ومن تكاسل ) ووقفت لفسد المعنى وتلاشى القصد ، والصواب هو وصل الجملة بقولك : رسب ( أو فشل ) عندها يصحّ الوقف.

ب - المستوى الصرفي : أو المورفولوجي ، ويمثّل حلقةً وسطى بين المستويين الصوتي والتركيبى القواعدي الذي تنتظم فيه الكلمات ، ويدرس التغيرات التي تقع على صيغ الكلمات وما يضاف إليها من سوابق ( Prefixes ) ولواحق ( Suffixes ) وحشو ( Infixe )، تؤثر في المعنى وتؤدّي إلى تغييره في مثل : يضرب، وضارب وضربت (19).

ويعدّ المورفيم Morpheme أساس التحليل الصرفي ، ويحدّد بأنه " أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى دلالي أو نحوي في الكلمة أو الجملة ... " (20)، ويُعبّر عن معانٍ حرفية كالفاعلية والاسمية والفعلية والجنس والعدد .

لقد اتخذ فيرث من التحليل الصرفي للملفوظ اللسانيّ مرحلةً من مراحل البحث عن المعنى وليس هو المعنى بذاته ، إذ لا جدوى من القول بأنّ هذه الكلمة اسم أو فعل، وهي على صيغة كذا أو وزن كذا ، فنحن لم نقم بشيء - لنصل إلى المعنى - سوى أننا وصّفنا الكلمة صرفياً، وهذا عند فيرث خطوة من الخطوات الإجرائية لاقتناص المعنى الذي هو كلّ مركّب من مجموعة وظائف لغوية من بين عناصره : الوظيفة الصرفية . و" إذا كانت النهاية القصوى لتشكل الأصوات لغة تتمثّل في تشكيلها صيغاً ، فإنّ تشكل الصيغ

كلمات دالة سيُفَضِي لا محالة إلى النحو نظاماً به تنتظم الكلمات جُملاً<sup>(21)</sup> ، ولذلك ننقل إلى المستوى التركيبي .

**ج - المستوى التركيبي :** يمثل الحلقة الثالثة في متواليّة التحليل اللغوي ، ويبحث في العلاقات القائمة بين المورفيمات داخل الجملة ، وطريقة بنائها وصلتها بعضها ببعض ، والتغيرات الطارئة على عناصرها من تغييرٍ بتقديم أو تأخيرٍ أو حذفٍ أو زيادةٍ . " لقد كان المعنى عند فيرث حجرَ الزاوية في النظرية النحوية " (22) ، فوظف مصطلح التركيب ، وذهب إلى أنها تلك العلاقات التبادلية بين العناصر اللغوية في نصٍ أو جزءٍ منه على مستوياتٍ من بينها المستوى النحوي ، ومن خلال ظاهرة تركيبية هي التوارد Colligation تبنى على علاقة أفقية نحوية تبادلية بين الفصائل النحوية كالأداة والاسم والفعل والظرف... إلخ ، وتواردها عنده جزء من معناها النحوي الذي يشغل بدوره فصلاً من فصول المعنى الكلي .

فميز في دراسته للغة بين البنية (أو علاقات المحور الركني التركيبي) من ناحية ، من خلال مفهوم الضميمة Syntagm المكوّنة من عناصر لغوية لها معنىٍ تركيبيةٍ ، وبين التنظيم (أو علاقات المحور الاستبدالي) من خلال مفهوم الجدول Paradigm الذي ترتب فيه العناصر في أنظمة ، ويضم أنماط صيغ الكلمات في النظام النحوي<sup>(23)</sup> ، وعلى ذلك ، فالبنية في نظره - تنحصر - بأشكال الكلمات في السياق ، في حين ينحصر التنظيم بالعلاقات الاستبدالية القائمة بين العناصر والتي تكون قيمتها اللغوية<sup>(24)</sup> .

#### د - المستوى الدلالي :

وفي إطار التواضع الوثيق بين مختلف مستويات التحليل اللغوي وتفاعلها بعضها ببعض والتأكيد على استحالة استخراج الدلالات من تحليل مستوى بعينه<sup>(25)</sup> ، يُضَمُّ فيرث عناصر نظريته السياقية المستوى الدلالي ، وهو أسمى مستويات اللغة ، لأنه الغاية التي تنتهي إليها الدراسات اللغوية ، ولأنّ التفاهم والتواصل أسمى غايات اللغة<sup>(26)</sup> ، وفي ضوء هذا المستوى يندرج المستوى المعجمي الذي أجمع كثير من اللسانيين على جعله جزءاً من المستوى الدلالي ، لأنّ المستوى المعجمي يدرُسُ المعنى المقالي الذي يتأسس بدوره وفق معنيين : المعنى المعجمي القائم على علاقات عرفية اعتبارية بين المفردات ومعانيها ، والمعنى الوظيفي القائم على وظائف الصوتيات والصرف والنحو ، وعليه فإنّ

مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر

... الحقائق التي نصل إليها [بواسطة] التحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة إلى المعنى الدلالي...<sup>(27)</sup>، هذا الأخير الذي يقوم على المعنيين: المقالي والمقامي .

إنّ "... التفاعل بين المعاني المعجمية والوظيفية الجزئية داخل الجملة لا يُدَّ له من نظام دقيق مُحكم ، وصِلَة تربطه بعالم الخبرة، هي الدلالة " <sup>(28)</sup>، غاية المتكلم ومراده من نظم الجملة ، بل و " ... أداة النص في إنتاج نفسه " <sup>(29)</sup>، ومن أجل هذه الغاية ، يرى فيرث أنّه يستوجب للوصول إليها اجتياز المراحل الآتية <sup>(30)</sup>:

1 - تحليل النص قيد الدراسة إلى مستوياته اللغوية المختلفة : المستوى الصوتي، والصرفي ، والنحوي والمعجمي والدلالي .

2 - تحديد سياق الحال أو الماخرات أثناء الكلام الفعلي .

وكمثال توضيحي نأخذ لفظة " ولد " في تركيب ما ، والتي يتحدّد معناها بمجموع عدد العلاقات والوظائف اللغوية وغير اللغوية التي تحلّل على النحو الآتي <sup>(31)</sup>:

1 - كلمة " ولد " مورفيم حرّ يتكوّن من فونيمات صامتة وصائتة ، مرتبة بشكل مخصوص يحدّد معناها ويُعيّنه ، وكلّ تغيير في ترتيب فونيمات الكلمة أو تبديل أحدها سيُحدِّث معنى مختلفاً ، كأن نقول: ( دلو ) أو ( وجد ) بدّل ( ولد ) .

2 - كلمة " ولد " لها معنى صرفي يُعيّن بتعدّد سياقاته الصرفية المستعملة ، فقد تجيء هذه الكلمة اسماً مفرداً أو مثني أو جمع تكسير ، وقد ترد فعلاً وهكذا...، ويُعدّ المعنى الصرفي جزءاً من معنى الكلمة الكلي .

3 - أمّا المعنى النحوي فيتعدّد كذلك بتعدّد موقع الكلمة في التركيب ، فقد تأتي فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ أو خبراً...، ويعتبر معناها النحوي جزءاً من معناها العام .

4 - المعنى المعجمي لكلمة " ولد " يختلف بطبيعة الحال عن المعنى المعجمي لغيرها من الكلمات ، نحو : ( بلد ) ، فإذا استبدلنا كلمة ( ولد ) بكلمة ( بلد ) في الجملة : " ولد نحيل " تتكوّن لدينا جملة غير مستقيمة دلاليًا هي " بلد نحيل " وهذا الإجراء سماه فيرث بـ : احتمال الوقوع " Co- occurrence " ويقابله مصطلح التلازم " Collocation " الذي يقصد به تلازم وقوع كلام مع آخر دون غيره ، نحو : الشمس والنور ، والليل والظلام .

5 - لكلمة " ولد " معنى اجتماعي يحدّده الاستعمال في بيئته الاجتماعية وظروفه المحيطة <sup>(32)</sup>.

لقد أجاد فيرث توظيف مصطلح التركيب "Structure" في دراساته اللغوية ، واتخذ منه علاقةً تبادليةً بين العناصر اللغوية في نصٍّ أو جزءٍ منه ، وكان التلازم أو المصاحبة "Collocation" - وهي تلك العلاقة الدلالية بين الكلمات - إحدى ظواهر هذا التركيب في محاولةٍ منه لإظهار أثر العلاقات الأفقية في المعنى<sup>(33)</sup>.

وتعدُّ ظاهرة المصاحبة أو التلازم إحدى صور العلاقة الأفقية على المستوى المعجمي، و شكلاً من أشكاله ، ومن منطلق الدعوة للاهتمام بدراسة الجوانب الشكلية في المفردات ، نبه فيرث اللغويين إلى فائدة الدراسة المعجمية عموماً وجوانبها الشكلية خصوصاً، لأنَّ مجيء الكلمة في صُحبةٍ كلماتٍ أخرى يُجسِّدُ أحد معانيها ، واتخذ للمصاحبة مستوى من مستويات التحليل اللغوي هو: (المستوى المصاحبي) ، وأدرج بحثه ضمن المعنى المعجمي " ... أي مع ذلك الجزء من معنى المفردات الذي يعتمد لا على وظائفها في مقامٍ خاصٍّ، بل على نزوعها إلى أن تتراقق في السياقات"<sup>(34)</sup> ، وهذا يؤوِّلُ إلى بُعد المعنى بالمصاحبة عن المعنى في المقام ، وعضد وجهه نظره هاته بقوله إننا " ... نعرف الكلمة بالمجموعة التي تُلزمها ..."<sup>(35)</sup>، ومثال ذلك كلمة night التي من معانيها قبولها مصاحبة dark ، وبالمثل فإنَّ أحد معاني dark هو مصاحبتها لـ night<sup>(36)</sup>.

وقد شكَّلت ظاهرة المصاحبة، أو التلازم أو الرِّصْف أو التراصف أو التساوق أو التضم، على اختلاف التسميات اتجاهاً دلاليًا قائماً بذاته عُرفَ بـ "نظرية الرِّصْف" أخصي فيها الجانب المقامي أو سياق الحال ، واقتصر على السياق اللغوي فقط<sup>(37)</sup> . وكان تلامذة فيرث من أوائل من تبنَّى تلك الفكرة وطوَّرها لتستحيل نظريةً من نظريات الدرس الدلالي ، فكان ألمعهم اللغوي هاليداي الذي صقل المفهوم وبسطه في دراسة له بعنوان: -lexis as a Linguistic level<sup>(38)</sup>.

عنى هاليداي بالرِّصْف وجوب مراعاة وقوع الكلمات مجاورة لبعضها؛ حيث يُعد هذا الوقوع أحد معايير تحديد دلالة الكلمة، وتكون قائمة الكلمات المتراصفة مع كل كلمة جزءاً من معناها، بحيث تتطلب كلمة ما حضور سلسلة من الكلمات التي تتراصف معها سياقياً وتتوافق معها في الوقوع<sup>(39)</sup>، ولأنَّ "... الطبيعة الخطية للغة الإنسانية تقتضي تسييق العناصر اللسانية الذالة بتواترها، وتلاحقها ضمن متواليات لسانية غير متناهية"<sup>(40)</sup>، فإنَّ هاليداي يؤكد على أنَّ "... وقوع عنصرٍ ما في محيطٍ مصاحبيٍّ يمكن



مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر  
فحسب دراسته في ضوء الاحتمال...<sup>(41)</sup>، وأنّ المفردات المعجمية " ... تدخل في إطار  
قائمة مفتوحة (...) محكومة فحسب بالاحتمالات "<sup>(42)</sup>، ويمثّل لذلك بالمفردة "مقعد" والتي  
تحتل أكثر ما تحتل أن يقع معها في السياق كلّ من الفعل "يجلس" والصيغة "مريح" ...  
وغيرها من الاحتمالات المناسبة معجميًا ، دون أن نتوقّع أن يصاحبها "سمكة" أو "حصد"  
، ورغم ذلك فلا يجزم بعدم احتمالية تساوقها بأحدها.

ويواصل الركب تلميذ آخر هو: ماكنتوش Mc Intosh الذي تعمق في دراسة  
الظاهرة من خلال بحوثه ، وتوصل إلى تقسيم المصاحبة إلى نوعين ، أولهما :  
المصاحبات العادية " Usual Collocations " الواقعة في اللغة المعيارية غير المجازية  
التي لا يقصد منها إظهار جوانب أسلوبية جمالية ، وتعرّف " ... بأنها المصاحبة التي  
يمكن أن ننسبها - بيسر - إلى قائمة أو أخرى من القوائم التي نتعامل معها، والتي تشبه  
- إلى حدّ ما- في دقّتها ونظامها المعجم الكبيرة ... "<sup>(43)</sup>، وتتأسس العلاقة بين وحداتها  
على علاقة تتبؤ متبادل بوقوعها، فإذا قلت "سهيل... توقّعت مباشرة الخيل أو الحصان،  
ولو قلت "خرير ... لتتبيّت لفظ الماء وليس الجمل أو الأسد.

أمّا الآخر فهو المصاحبات غير العادية أو غير المألوفة Unusual  
Collocations ، وعنها يقول ماكنتوش : "المصاحبات غير العادية هي ذلك النوع  
يُرجح أن يكون من الأهمية بمكان في الأدب - وبخاصة في الشعر - إذ إنها جزء من  
الجهاز الذي يستطيع [بوساطته] الروائي أو الشاعر أن يحاول جاهداً في مساحة كبيرة أو  
صغيرة من النص، توصيل شيء لا يمكن توصيله بالوسائل العادية ، وهو بذلك يضع لنا  
مشكلة لا يمكن أن نلجأ في حلّها إلى أيّ خبرة ذات علاقة مباشرة "<sup>(44)</sup>.

إنّ ما سبق ينحو بنا إلى قضية كسر قانون الاختيار بين المفردات وعنصر  
المفاجأة؛ إذ المألوف عقد مصاحبات لفظية وفق منحى يُجيزه فهم المتلقّي ، ويسوّغه  
الاتّفاق اللغوي، و ينطوي على علاقات لغوية دلالية معيّنة، تجري في مجالها العاديّ  
المعروف أو المتداول، وقد يقع أن تخرج عن هذا المألوف المعروف إلى غير المعتاد ،  
وتكون مقبولة بل ومستساغة في أحيان كثيرة مُرتبنة بفهم المخاطب لها وملاءمتها لسليقة  
المُرسل والمتلقّي معاً ، وغالبًا ما نلفي هذا في الانتاجات اللغوية الإبداعية ، لاسيما  
الشعراء الألمعيين.

بما أن هاليداي مايكل ألكسندر كيركورد أكثر تلامذة فيرث وفاءً لأفكاره وأشدّهم استيعاباً لها، فإنه يستأهل الخوض في بعض أهم آرائه اللغوية الفذة، والتي ورثها عن أستاذه، دون حَمَيه حَقّه في ما جاد به في حقل الفكر اللساني، حيث أفاد من روى فيرث اللغوية أيما إفادة وتمثلها جيّداً<sup>(45)</sup>، ثم صاغها بمفهومه الخاص، فحذف وأضاف وعدّل حتى استوت على يديه نظرية متماسكة محدّدة الأطر عرفت بعلم اللّغة النظامي "Systemic linguistics" أو النحو النظامي "Systemic Grammar" وكان أكثر ما ظهر فيه تأثره بأستاذه هو ما يمكن إدراجه في مفهوم النظام عند فيرث؛ إذ وظّفه فأجاد توظيفه حتى وصفت به نظريته في التحليل اللغوي، إضافة إلى استلهامه شعار فيرث في السياق "المعنى وظيفة في السياق" الذي كان يقول به، ويؤمن بفعاليته في الواقع اللساني. يمثّل هاليداي وأتباعه المنهج اللغوي الإنجليزي الجديد الذي عُرف بـ: لسانيات الفيرثيين الجُدّد "Neo-Firthian linguistics"<sup>(46)</sup>، ويرى هاليداي أن اللّغة تُدرّس من جانبٍ سيمي اجتماعي، لأنها المصدر الأساسي للتواصل من خلال إظهار المعاني في السياق<sup>(47)</sup>، ويمثّل النصّ الوحدة الأساسية أو وحدة التحليل، لأنّ المعنى الوظيفي الكامن "The Functional Meaning Potential" لا يدرك أو يتحقّق إلاّ من النصوص وليس أقلّ منها، و"بالنسبة للّغوي، فإنّ وصف اللّغة بدون اعتبار للنصّ هو عملٌ عقيمٌ، ووصف النصّ بدون ربطه باللّغة هو عملٌ بلا معنى"<sup>(48)</sup>، وربط المعنى بالوظيفة في اللّغة، بل جعله هو الوظيفة نفسها التي هي الاستخدام.

ويتميز النصّ عن اللانص في نظر هاليداي بعوامل ثلاثة هي: بنية الجنس الذي ينتمي إليه النصّ، وبنية النصّ (الموضوع والمعلومة) والاتّساق<sup>(49)</sup>.

ومن أساسيات هذا المنحى في الدرس اللغوي منذ بداياته وعبر مراحل تطوره، تلك الصلّة المتينة بين اللّغة والسيّاق الذي يصف العلاقة بين الصيغ اللغوية أو المعاني الوظيفية للعناصر اللغوية، ويربطها بالمعاني المقامية أو الوقائع غير اللغوية المصاحبة<sup>(50)</sup>. ويتّضح السيّاق اللغوي فيما أسماه بالمعنى الشكليّ "Formal Meaning" وهو العلاقة بين العناصر اللغوية في التركيب، وقدرتها على التوارد أو التقابل أو التّعاقب بعضها مع بعض، ومجيء هذه العناصر في تتالٍ يحكمه تماسكٌ داخليّ وسيّاقٌ خارجيّ هو السيّاق الحالي، كلّ هذا يجعل المركّب نصّاً ذا رسالةٍ أو مضمون<sup>(51)</sup>.

مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر  
ولو أردنا تتبّع المسار التطوري لفكرة السياق لانطلقنا مع بداية التطوير والتّقييد اللّسانيّ  
الذي رام - كما نعلم - دراسة اللّغة لذاتها دراسةً علميةً، وتحريرها من فكرة كونها مطيئةً  
لغاية هي دراسة النّصوص الدّينية أو النّقوش القديمة وما يتعلّق بأدب وثقافة شعوبها، فمع  
بداية القرن العشرين بدأت الدّراسة اللّسانية تأخذ بُعدًا آخروشكلاً مختلفًا، على يد نخبة من  
العلماء الذين كان لهم الدور الأبرز في النهوض بالدّرس اللّغويّ؛ إذ شكّلت محاضرات  
فرديناند دي سوسير (1857م - 1913م) نقطة التّحول الحقيقيّ بمالاقته من شهرة  
وتأثير كبيرين في أوروبا وأمريكا، الأمر الذي ساهم في تغيير كثير من المفاهيم والرّوي  
التي أدّت بدورها إلى ظهور مدارس مختلفة .

وكان من أهمّ آرائه اللّغويّة أنّه "... ينبغي على اللّسانيات الاكتفاء بدراسة اللّسان  
في ذاته ولذاته، على اعتبار أنّه منظومة من العلامات والقواعد ، وهو كنز جماعيّ  
موجود في الدّماغ"<sup>(52)</sup>، ولا تؤدّي فيه الدّوالّ وظيقتها بوصفها أصواتًا لها دلالتها المباشرة  
إنّما بحكم اختلافها فيما بينها، وهذا يعني "... أنّ معاني الكلمات تتوقّف على مواقعها في  
الجمل واختلافها عن غيرها"<sup>(53)</sup>. وفي إشارة إلى ضرورة مراعاة السياق في اللّغة، وفي  
مقارنة عقدها بين النّظام اللّغويّ ولعبة الشطرنج، تتضح فكرة العلاقات السياقية عنده،  
بتمييزه بين العناصر الدّاخلية والخارجية للّغة، فالعناصر الدّاخلية هي تلك العرى اللّغويّة  
للنّظام، فكما في لعبة الشطرنج إذا غيرنا قطعًا خشبيّة بأخرى عاجية تبقى اللّعبة هي،  
لا تتأثّر قواعدها ولا نظامها، في حين أنّ أيّ تغيير في عدد القطع بزيادة أو نقصان، حتّمًا  
تتغيّر قواعد اللّعبة جذريًا، بحكم أنّ لكلّ قطعة وظيفة وموقعًا في الرقعة "... فكذلك  
الأمر في اللّغة، إذ تتوقّف قيمة كلّ كلمة على مقابلتها بغيرها من الكلمات"<sup>(54)</sup>، وفق  
امتداد خطّيّ أفقيّ فعليّ في الكتابة والنّطق والسمع، حيث تُنشئ الكلمات في الخطاب "  
ضمن تعاقدها فيما بينها، علاقات مبنية على صفة اللّغة الخطيّة ، تلك التي تستثني إمكانية  
لفظ عنصرين في آن (... ) وهذان العنصران إنّما يقع الواحد منهما إلى جانب الآخر  
ضمن السلسلة الكلامية، و يمكن تسمية الأنساق التي يكون المدى سندا لها (تراكيب) (...)  
إنّ عبارة ما في تركيب ما لا تكتسب قيمتها إلّا بتقابلها مع ما يسبقها أو ما يليها أو الاثنين  
معًا"<sup>(55)</sup>.

ومن هنا فقد تمظهر السياق عند دي سوسير في كون اللّغة مجموعة نسقية من  
العلاقات القائمة بين العناصر اللّغويّة على الصّعيدين: التركيبيّ أو العلاقات التركيبيّة في

السلسلة الكلامية على امتدادها، والترابطي أو التجميعي وهو أن: "...تتسم الكلمات خارج الخطاب بشيء مشترك و تترابط في الذاكرة مشكّلة مجموعات تسودها علاقات مختلفة" (56)، كالاتساق في الأصل الاشتقائي أو الصوت أو المعنى أو غيرها، وبالتالي، وفق هذين الصّعيدين (التركيبّي والتجميعي) يتجسّد السّياق اللّغوي بمكوّناته الصوتيّة والنحويّة والدلاليّة في فكر دي سوسير.

لقد لاقى توجّه فيرث في دراسة المعنى صدّي كبيراً في أوساط الباحثين والدّارسين اللّغويين أمثال اللّغوي فنديريس vendryes الذي آمن بفاعلية السّياق وأهميته في بعض القضايا الدلالية، فأوماً إليه في أكثر من موضع، ومن قبيل ذلك قوله إثر دراسته طائفة من الألفاظ إن "... الذي يعيّن قيمة الكلمة في كلّ الحالات التي ناقشناها إنّما هو السّياق، والسّياق هو الذي يفرض قيمةً واحدةً بعينها على الكلمة، بالرغم من المعاني المتنوّعة التي في وسعها أن تدلّ عليها، والسّياق أيضاً هو الذي يُخلّصُ الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمةً حضوريةً..." (57).

وينبّه في موضع آخر إلى أحادية الدلالة للكلمة وتجردّها من ترأّكب الدلالات وتعدّها في حالة تسييقها بقوله: "... إنّنا حينما نقول بأنّ لإحدى الكلمات أكثر من معنّى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حدّ ما؛ إذ لا يطفو في الشّعور من المعاني المختلفة التي تدلّ عليها إحدى الكلمات إلاّ المعنى الذي يعيّن سيق النص، أمّا المعاني الأخرى فتُمحى وتُبدّد ولا توجد إطلاقاً؛ فنحن في الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول: (الخياطُ يقصُّ الثوبَ)، أو (الخبزُ الذي يقصُّه الغلامُ صحيح)، أو (البدويُّ خيرُ من يقصُّ الأثر)، فإنّنا نستعمل في الواقع ثلاث كلمات، لا يربطها بعضها ببعض أيّ رباط، لا في ذهن المتكلّم، ولا في ذهن السّامع" (58)، فالفعل في التركيب الأوّل يعني: يقطع أو يشقّ، وفي التركيب الثاني: يروي أو يحكي، وفي الثالث: يتتبع، ورغم أنّ الملفوظ (يقصّ) واحد إلاّ أنّ المعنى تغيّر بتغيّر السّياق الوارد فيه، ويُوزع ذلك إلى تفسير الكلمات المكوّنة للجملة بعضها لبعض، فمعنى الكلمة يتأتّى ممّا يصاحبها من كلمات، سواء تقدّمتها موقعاً أم تأخرت عنها أم اكتنفتها من جانبيها، ويقع التّأثر والتّأثير المتبادل دلالياً، وتنحو الكلمة صوب دالاتها المناسبة.

ومن كلام فنديريس السّابق يمكن القول بأنّ للسّياق في نظره وظيفة :

- تعيين قيمة واحدة للكلمة.

- تخلص الكلمة من الدلالات المحتملة التي اكتسبتها من تراكم معرفي تاريخي .
- خلق قيمة آنية للكلمة وتبديد باقي القيم ، ويعضد توجهه هذا بقوله : " تزود كل كلمة في لحظة استعمالها تزويدًا تامًا بقيمة وقتية تُبعد عنها جميع القيم الناتجة من الاستعمالات الأخرى التي تصلح لها الكلمة ... " (59).

و يستمر فندريس في إبراز السياق آلية منتجة للدلالة مؤدية للغرض المنوط بها في مواضع عدة مبنوثة في كتابه: (اللغة) ، ولعل من أهمها قوله : " عندما نسمع جملة أونقروها نرى الكلمات التي تشتمل عليها يفسر بعضها بعضًا ، فإذا كانت منها واحدة غير مألوفة لنا - والواقع أن هناك دائما فترة في حياتنا نسمع فيها الكلمة لأول مرة - حاولنا بطبيعة الحال تفسيرها معتمدين على سياق النص ... " (60) .

وكثيرًا ما كانت تتردد عنده فكرة أو عبارة (نحن نفكر بجمال) (61)، في إشارة إلى اكتمال الفائدة اللغوية في حال التركيب أو التجاور والتعاقب اللفظي العلائقي " ... فالكلمة لا توجد منعزلة في الذهن إطلاقًا بل تكون جزءًا من مجموعة ذات امتداد ما تستعير منها قيمتها " (62)، ولهذا الامتداد روابط وعلاقات تحكمها عناصر لغوية هي الأصوات والصيغ النحوية والكلمات، وكلها متلاحمة متألّفة في الواقع ، وتقسيمها بهذه الصورة - كما يقول : "... ما هو إلا تقسيم اصطناعي محض ، لأنّ هذه العناصر ترتبط بعضها ببعض ، ولا توجد منفصلة اطلاقًا مهما بدّا من اختلافات ، بل تنصهر كليًا في تلك الوحدة التي هي اللغة نفسها ... " (63)، كما بحث قضية اللبس والغموض الدلالي ، وبين دور السياق في إجلاء ذلك الغموض خاصة اللبس الناتج عن الألفاظ المتماثلة أو ظاهرة (الاشتراك اللفظي) أو الهومونيمي Homonymy التي يسميها اللساني ستيفن أولمان - (الكلمات المتعددة المعنى المتحددة الصيغة) (64)، وهي ظاهرة تمثل عائقًا نحو الفهم وحجر عثرة أمام المتلقي ما لم يستند إلى السياق، "... فالسياق يحمي الألفاظ المتماثلة من خطر اللبس ، وهذا يسمح بالإبقاء عليها دون إضرار ... " (65).

و لم يغفل الإشارة إلى ظاهرة ثانية تُعدّ مؤنلاً للغموض هي ظاهرة (التأقلم) polysemy كما سماها هو، والتي تُعرف في علم الدلالة الحديث بظاهرة (تعدد المعنى) أو (الحالات التي تتعدّد فيها مدلولات الكلمة الواحدة) (66)، وربطها بالاستعمال بقوله: " يجب أن نفهم من هذا الاسم قدرة الكلمات على اتّخاذ دلالات متنوّعة تبعًا للاستعمالات المختلفة التي تُستعمل فيها ، وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات " (67).

بيد أنه لم يُعمم جدوى السياق في كل الأحوال والموافق، فالسياق ليس الوسيلة الوحيدة في اللغة التي بها نتخطى التعمية والغموض لنصل إلى برّ الوضوح؛ لأنّ للغة وسائل وطرق أخرى وإن تفاوتت أهميتها وقدرتها أو كما يقول: "... إنّ السياق يوضّح معنى كل كلمة؛ وإذا لم يكف السياق، لم تعد اللغة أن تجد وسيلة لتجنّب هذا النقص ... (68)".

وإن دلّ كلامه على شيء فإنما يدلّ على نظرة وسطية غير متعصبة، فلا هو بالمغالي المتطرف الذي لا يرى إلاّ السياق بقرائنه أداة حيازة المعنى في كل الأحوال، ولا بالمُنكر الرافض للسياق وجدواه كناية.

ومن اللغويين أيضاً جون لاينز John Lyons صاحب شعار "... اعطني النص الذي وجدت فيه الكلمة وأعطيك معناها..." (69)؛ إذ كثيراً ما أشاد بالسياق وضرورة أخذه في الحسبان في العملية الإدراكية للغة، فتناوله تناولاً أصيلاً في بعض مؤلفاته مثل كتابه "linguistic Semantics"، وكتاب "Language and Linguistics" وكتابه الآخر "New Horizons in Linguistics"، والتي من خلالها أمكن استخلاص أنّ فرضيته: (إنّ معنى المنطوق متوقّف بشكل حاسم على السياق) (70) من أكثر ما يشغله. فقد جعل لاينز السياق الأساس المعوّل عليه في اقتناص معنى الوحدة الكلامية وفق مستويات ثلاثة في تحليل النص أو الخطاب؛ فالسياق في رأيه:

- أولاً: يحدّد - غالباً - إن لم يكن دائماً الجملة المنطوقة إن تمّت فعلاً عملية النطق.
- ثانياً: يخبرنا - غالباً - عن أيّة قضية عبّر عنها، إن تمّت عملية التعبير.
- ثالثاً: يساعدنا - غالباً - على تأكيد أنّ القضية المدروسة قد تمّ التعبير عنها بفعل قوة لا كلامية بعينها (71).

ويوزع تجلية الغموض في الغالب إلى هذه الوسيلة الناجحة، فـ "... كثيراً ما يُحلّ الغموض من السياق ولا يصدر منه..." (72)، ويرى كذلك أنه يوجد نوع من الارتباط بين الاستعمال والمعنى بشكل واضح، غير أنه ليس كل استعمال منوط بوظيفة تحديد المعنى كما يرى بعض الفلاسفة المغالين في هذا الرأي وعلى رأسهم فتجنشتين (73).

مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر  
ومن أصحاب الوجهة السياقية في الدرس اللغوي نجد اللغوي بيير غيرو Pierre  
Guiraud ينادي بالفكرة ذاتها، بل يبالغ في أحيان كثيرة بجعله للكلمات (وظائف) لا  
(معاني)، ونفى أي معنى ممكن للكلمات خارج سياقها، "... فليس للكلمات معنى إنما  
استعمالات شتى (...). إنَّ المعنى كما يصلنا في الخطاب، يخضع لعلاقات الكلمة مع  
غيرها من الكلمات المتواجدة ضمن السياق ذاته ، وتحدّد بنية النظام الأسنوي هذه العلاقات  
... " (74).

كما نبّه كذلك إلى قوة السياق في إضاءة النص بما يحقّق القصد عند وجود تعدّد  
دلالي لأحد ألفاظ ذلك النص، يقول: "... وفي الواقع يتم رفع التباس الإشارة المتعدّدة  
المعنى عن طريق السياق ، فالإشارة ضمن الرسالة ليس لها غير معنى واحد... " (75)،  
أضف إلى ذلك دراسته لنبر وتغيّرات الصوت أثناء التّواصل متّخذها منها مساعدات  
الكلامية (76).

وينضمُّ إلى القائمة كذلك اللغوي جيفري ليستش Geoffrey Leech الذي يرى أنّ  
السياق يمثّل في أحد أحواله حجر الزاوية في العملية التفسيرية أو التأويلية (77)، و يحدّد  
جملة طرق يمكن بواسطتها تعيين المعنى، أولها: أنّ السياق يُزيل بعض المعاني الغامضة  
أو المتعدّدة في الرسالة، وثانياً: يُظهر السياق ويشير إلى إحالات بعض أنماط الكلام، كالتي  
يسمّيها deictic مثل: هذا، الذي، هنا، هناك، الآن، إذن ... أو مثل: جون، وأنا، أنت،  
هو، رجل ...، وثالثاً: أنّ السياق يزودنا بالمعلومة التي أهملها (المستكلم/ الكاتب) عند  
الحذف ويضرب لذلك مثلاً جملة (جانيت الحمير!) التي نستطيع أن نقدر معناها بـ  
(جانيت أبعد تلك الحمير!) مثلاً بدل (جانيت اجلبي تلك الحمير هنا!) وغيرها كثير من  
الاحتمالات اللغوية المناسبة غير المحدّدة (78).

و يُصدّر اللغوي د. أ. كروز كتابه (Lexical Semantics) بمهادٍ أكّد فيه على أنّ  
"... المنهج المتين في هذا الكتاب والذي يصفه هذا الفصل التمهيدي، هونوع من المنهج  
السياقي، ومن المفترض أن يظهر الخصائص الدلالية للمادة المعجمية كلياً، في مظاهر  
ملائمة من العلاقات المرتبطة بسياقات حقيقية وممكنة... " (79)، والتّواصل في نظره لا يتمُّ  
بكلمات منعزلة أو مفردة ، لأنّ الكلمات لاتحمل في ذاتها وسائل تواصلية، فكما يقول:  
نحن نتواصل بعبارة (80)، أي لا معنى للمفردات إلاّ مجتمعةً مع مجاوراتها في السلسلة

الكلامية، ويلعب السياق - عندئذٍ - دورَ المرشِّح للمعنى (81)، والمحفِّز للعملية المنتجة للدلالة، من خلال تنشيط مجموعة القواعد والمبادئ التي تنشئ المعنى المقصود (82).  
و غير بعيد عن منحى كروز، نجد اللغوي ستيفن أولمان Stephen Ullmann من أكثر اللغويين اعتدالاً في موقفه إزاء السياق، لا هو من الرافضين له أداة لرصد الدلالة، ولا من المغالين المبالغين في الاعتداد به الذين "... كثيراً ما يرددون القول بأن الكلمات معنى لها على الإطلاق خارج مكانها في النظم، يقول القائل: (عندما أستعمل كلمة يكون معناها هو المعنى الذي أختاره لها فقط لا أكثر ولا أقل)" (83)، ثمَّ يردُّ على أصحاب هذا الرأي باستفهام إنكاري قائلًا: "... كيف تصنّف المعاجم إذا لم يكن لهذه الكلمات معانٍ؟" (84).

وأرجأ سبب تلك المغالاة إلى عدم وضوح الفرق عند أولئك بين الكلام واللغة، ثم أبدى رأيه بقوله: "إننا إذا تخلصنا من هذه الآراء المتطرفة أمكننا أن ندرك تأثير السياق على المعنى إدراكاً صحيحاً، وهذا التأثير الذي نشير إليه تأثير ذو أهمية قصوى ومتعددة الجوانب أيضاً" (85).

يعدُّ أولمان أنماطاً خمسةً من وظائف السياق نلخصها فيما يأتي (86):

- 1- السياق وحده كفيلاً بتوضيح ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تحمّل على أنها تعبير موضوعي صرف أم تعبير عاطفي انفعالي، ويمثّل لذلك بكلمة (جدار) في مقطوعة شعرية، وكلمتي (حرية وعدل) وغيرهما ممّا له مضمون مؤثّر.
- 2- السياق وحده أداة تعيين حدود مجال الكلمة في أيّ موقف معين، ككلمة (إنجليزي) التي يتسع مجال استعمالها باعتبارها مصطلحاً لغوياً عاماً أكثر منه مصطلحاً قومياً في مقابل (إيرلندي) و(اسكتلندي).
- 3- السياق وحده يوجّه دلالات الكلمات ذوات المعاني المركزية الثابتة في الاستعمال؛ فالسياق يبيّن ما إذا كان المقصود بكلمة (قريب) قرابة رحم أو مسافة.
- 4- السياق وحده القادر على تحديد معنى واحد من بين معاني الكلمة خارج التركيب، مثل الفعل (أدرك) الذي يحمل معاني متعدّدة وغير محدّدة تؤدي إلى الغموض، وبمراعاة السياق الواقع فيه الفعل يتأكّد المقصود مثل (لحق به) أم (عاصره) أم (رأى) أم (بلغ)...



5- السياق وحده يكشف المقصود من الكلمات المتفقة النطق مثل: see و sea ، وهو ما يسمّى بالمشترك اللفظي الذي يتلاشى غموضه بـ " صمّام الأمان" الذي يتمثّل في السياق.

ممّا فات ، يمكن القول بأنّ أولمان منح السياق صلاحية واسعة النطاق ليقوم بدور كبير في تفصي الدلالة، خاصّة وأنّه يؤكّد في كلّ مرّة على ذلك بقوله: (السياق وحده) ، فاصداً السياق الحقيقي بنوعيه اللفظي وغير اللفظي ، ليختم دراسته عن السياق بنتيجة مفادها " أنّ نظرية السياق - إذا طبقت بحكمة تمثّل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن . إنّها مثلاً قد أحدثت ثورة في طرق التحليل الأدبي ، ومكنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتاً ، كما أنّها قدّمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات (...). و فوق هذا كلّه ؛ قد وضعت لنا نظرية السياق مقاييس لشرح الكلمات و توضيحها ..." (87).

ومع استئناسه بهذا المنهج إلّا أنّه يراه طموحاً - على حدّ قوله "... إلى درجة لا نستطيع معها في كثير من الأحيان إلّا تحقيق جانب واحد منه فقط ، ولكنّه مع ذلك يمدّنا بمعايير تمكّننا من الحكم على النتائج الحقيقية حكماً صحيحاً" (88).

لقد تبوّأ السياق مكانة هامة خارج نطاق الدرس اللساني، وتعدّى حدود البحوث و الدراسات اللغوية إلى حقول معرفية أخرى منها "الفلسفة"؛ إذ لقيت فكرة السياق الصّدر الرّجّب من بعض الفلاسفة الذين خاضوا غمار بحث بعض الطروحات اللغوية، و" كان الدافع وراء دراسة الفلاسفة للغة هو التوصل إلى فهم أفضل لكيفية عمل الذّهن في تصوّره للعالم" (89)، وكان من أبرز هؤلاء الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل Bertrand Russel الذي صرّح في عبارة دقيقة وتمثّل ذكيّ بأنّ "...الكلمة تحمل معنى غامضاً لدرجة ما، ولكنّ المعنى يكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله، الاستعمال يأتي أولاً، وحينئذ يتقطر المعنى منه" (90)، فالمعنى نتيجة حتمية للاستعمال ومرحلة تالية له، وهو منحى السياقيين نفسه .

أمّا تلميذه النمساويّ الفيلسوف لودفيج فيتجنشتاين Lodvedge Wittgenstein فقد جسّد هذه الفكرة في ممارساته الفلسفية الفعلية، لاسيما في آرائه وأعماله المتأخّرة ككتاب (البحوث الفلسفية) الذي تدارك فيه جوانب القصور في تصوّره للغة على أنّها رسم

للوجود الخارجي أو تصويراً له ، و أن معنى الكلمة هو الشيء الذي تشير إليه، فأوجد حيلةً جديدةً سماها (ألعاب اللغة)، وتلك الألعاب شكّلت جسراً جديداً لنظريةً جديدةً في المعنى هي: " نظرية الاستعمال" (91).

كثيراً ما كان فتجنشتين يذهب "... إلى أن السؤال عن تحليل قول ما هو في الواقع مجرد سؤال عن الطريقة التي نستخدم فيها القول في سياق ما أكثر من أن يكون السؤال عما يعنيه هذا القول في الواقع ... " (92)، ولا أدل على تصوّره هذا من مقولته الشهيرة: "... لا تبحث عن معنى الكلمة بل ابحث عن استعمالها..." (93).

وإمعاناً في تأكيد فكرته، نجده يقول - بتعبير متطرف - : " ليس للكلمة دلالة وإنما لها استعمالات فحسب " (94) لاغياً بذلك أي معنى للكلمة خارج الاستعمال أو التركيب، ومن الأمثلة التي ساقها لإظهار وجهة نظره قوله: "... أفلا يكون غريباً أن أقول إن كلمة (is) تستعمل بمعنيين مختلفين (كرابطة وعلامة للتساوي)، ولا أهتم بأن أقول إن معناها هو استعمالها، أعني استعمالها كرابطة، وعلامة للتساوي" (95).

لقد آمن فلاسفة أوكسفورد بنظرية الاستعمال وطوّروها بإضفاء أبعاد وحقائق عليها لتستوي نظرية فلسفية تحليلية مكتملة هي " فلسفة مدرسة أوكسفورد "، أو " فلسفة اللغة العادية "، و هي قائمة على مبدأ منهجي هو مراعاة الاستعمال اللغوي عند البحث عن المعنى، ولعب هذا الطرح دوراً مركزياً في تحليلاتهم الفلسفية .

يقول أحد فلاسفة هذا المنحى وهو غالي Gallie: " إن الفكرة القائلة إن المعنى يتجلى من خلال الاستعمال هي واحدة من أعظم مآثر الفلسفة المعاصرة " (96)، ويلخص الفيلسوف فايزمان Waismann ذلك بعبارة: " إذا رغبت في معرفة ما تعنيه الكلمة ، فانظروا وتدبر كيف تستعمل " (97).

يجسد الاستعمال في الفلسفة اللغوية المعاصرة مفهوم السياق اللغوي في الدرس اللساني أيضاً تجسيدا، وعليه نسلّم أن الوجهة اللغوية عند هؤلاء إنما هي وجهة سياقية، أساسها اعتبار سوابق ولواحق أو مجاورات الكلمة، وأنه أي كلمة أو صيغة لغوية تبدو لذاتها ممتة، يهيئها الاستعمال الحياة والوجود .

بعد أن وقفت عند بعض أهم الشخصيات اللغوية والفلسفية الغربية الحديثة في محاولة لبحث مفهوم السياق و تجلياته ، وفيما وقع بين يدي من مؤلفاتهم ، يحسن القيام

مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر  
بالأمر ذاته من خلال مؤلفات بعض اللغويين العرب المحدثين، حتى تتحقق المعادلة  
قدر المستطاع أولاً ، وليستوفي الباحث العربي حقه بمحاولة إظهار فضل جهده ثانياً .

## 2. السياق اللغوي في الدرس اللغوي العربي الحديث والمعاصر

اقترن الدرس اللغوي العربي الحديث منذ بداياته بعدة أسماء يعنينا منها ثلاثة  
أساتذة تتلمذوا على يد اللغوي فيرث صاحب النظرية و هم: د. محمود السعران ود. تمام  
حسان، ود. كمال بشر، أخذوا عنه - فيما يبدو - أصول الدراسة اللسانية العلمية الحديثة  
، ونهلوا من فكره ونقلوا ذلك إلى الدرس العربي ، وكان من بين الوافد عن طريقهم "  
نظرية السياق" التي سأحاول تتبع مظانها في ثنايا بعض كتبهم ، واستنباط ملامح النقل أو  
الإضافة ، مع التعرّيج عند أسماء تلتهم ، عالجت فكرة السياق سواء اكتفت بالنظر المنهجي  
أو تجاوزته إلى التطبيق العملي وإضفاء البصمة الشخصية ، عبر إضافات وآراء جديدة  
تكميلية أو تصويبية .

لا شك أن كتاب " علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي " للدكتور محمود السعران يُعدُّ  
بحقّ رافداً مهماً من روافد الدرس اللغوي العربي ، وجسراً تحقّق عبره - وغيره -  
اطّلاع القارئ العربي على علم غربيّ جديد هو " علم اللغة " ، حيث حوى هذا الكتاب  
مسيرة الدرس اللغوي الغربي حتى فترة الأربعينيات من القرن الماضي ، لخصّ فيه  
الدكتور السعران مختلف المدارس والمناهج اللغوية الغربية بشكل يستطيع معه المطلّع عليه  
أخذ صورة عامة وشيقة، تكسبه ثقافة ودراية عمّا هو حاصل في الركن الغربي من  
اللغويات آنذاك .

ومن خلال كتابه عرّج على نظرية السياق عند تعرّضه للمدرسة الإنجليزية  
الاجتماعية أو " مدرسة فيرث" التي تمثّل عنده آخر المدارس اللغوية، التي اهتمت بقضية  
المعنى، وكان يسبق اسم فيرث دائماً بلفظة (الأستاذ) ولاءً له وإشادة بأرائه ، حيث نجده  
ينحاز له لاسيما في مسألة السياق بشقيه. يقول الدكتور حلمي خليل في تصديره كتاب  
السعران: " وهنا يتضح انحيازها الكامل إلى المدرسة الاجتماعية الإنجليزية التي يتزعمها  
أستاذه " فيرث " ... " (98) .

والأمثلة التي ضربها الدكتور السّعران - على قَلْتها - تؤكّد ماسبق، ومنها ما ذكره عن كلمة (أول) في الآية الكريمة، قال تعالى: (( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا )) (99) ، ورأى أنّ البيت في الآية معلوم أنّه الكعبة المشرفة لكن الإشكال كامن في (أول) ، هل المقصود أنّ الكعبة هي أول ما بني على ظهر الأرض، وهو مذهب بعض المفسّرين، أم المقصود أنّ الكعبة هي أول بيت وُضِعَ لعبادة الله وحده ، وهو مذهب المدقّقين من المفسّرين ورأيه هو أيضاً، ودليل ذلك قرائن لغوية مقالية هي آيات بيّنات أخرى في الكتاب المطهر تضمنت أخباراً عن أمر الله عزّ وجلّ سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السّلام ببناء الكعبة، وكان قبلهما خلق كثير (100). وصنّيعه هذا دليل استعماله السّياق اللّغوي .

أمّا اللّغوي " تمام حسان " فقد احتل السّياق جانباً مهماً في أعماله؛ إذ أقرّ في كتابه: " اللّغة العربيّة معناها ومبناها " أنّه قد انتهج هذا المنحى الذي يُعدُّ أحدَ اسهامات الدّراسات اللّغويّة الحديثة، وأنّه سعى إلى تطبيقه على اللّغة العربيّة من خلال كتابه ذلك (101) ، وتجلّى ذلك في بحثه إياه - أي السّياق - وتوظيفه له أداة ذات سلطة كبيرة في استخراج المعنى ، والحثّ على انتهاج هذا المنوال اللّغوي لمن ابتغى الدّلالة ورام الوصول إليها .

وإزاء هذا ، يرى أنواعاً ثلاثة للمعنى تصبّ في النهاية في حوض المعنى الذي... هو الهدف المركزي الذي تصوّب إليه سهام الدّراسة من كلّ جانب... " (102) ، وتشقيقه للمعنى على ثلاثة فروع إنّما هو مطلبٌ منهجيٌّ فحسب، "... أحدها المعنى الوظيفي؛ وهو وظيفة الجزئيّ التحليلي في النظام أو في السّياق على حدّ سواء، والثاني، المعنى المعجمي للكلمة؛ وكلاهما متعدّد ومحتمل خارج السّياق، و واحد فقط في السّياق، والثالث المعنى الاجتماعيّ أو معنى المقام ... " (103).

يؤلّف المعنيان: الوظيفيّ والمعجميّ في مجموعهما معنى واحداً هو " المعنى مقالِيّ "؛ أمّا الأوّل (الوظيفي) فهو حصيلة المعنى الصّوتيّ والصّرفيّ والنحويّ (104)، في حين أنّ الآخر أي المعجميّ ويسمى أيضاً المعنى المفرد، أو معنى الكلمة في المعجم، فهو "... معنى متعدّد ومحتمل ، ومن ثمّ يفتقر إلى قرينة السّياق التي تحدّده... " (105).

وينظر الدكتور تمام إلى المعجم بوصفه قائمة من الكلمات لانظام لها، ويشكّل في الآن نفسه جزءاً مهماً من اللّغة لإمداده إياها بمادّة عملها، أو ما هو مختزن في ذاكرة

مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر  
المجتمع من مفردات، ويُرجىء علة تعدد معنى الكلمة في المعجم واحتماله " ... إلى  
صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق، وثبوت ذلك لها سبق استعمالها في نصوص عربية  
قديمة وحديثة ، ومن صلاحيتها للدخول في أكثر من سياق يأتي تعدد معناها واحتماله في  
حالة الأفراد (106).

ويضرب مثالين عن هذه الحالة من خلال تسييق كلمتي: (صاحب)، و(ضرب) إمّا عن  
طريق التّضام مع المضاف إليه ، والذي وصفه بأنّه أضعف صورة للدخول في السّياق  
مثل: - صاحب البيت : مالكه ، وصاحبي : صديقي ، وصاحب المصلحة: المنتفع، وإمّا  
بإدخال اللفظة في تركيب أو جملة عامة ، مثل: ضرب زيدٌ عمرًا بمعنى عاقب ، وضرب  
الله مثلًا بمعنى نكر، وضرب له موعدًا أي حدّد... إلخ (107).

هذا ويبحث الدكتور تمام بعض المفاهيم والمتعلّقات السّياقية كالتّضام الذي يحدّه  
في عمومته بأنّه " ... تطلّب إحدى الكلمتين الأخرى في الاستعمال على صورة تجعل  
إحدهما تستدعي الأخرى... (108) وله وجهان؛ وجه سماء " التّوارد " وهو تضامٌ دلاليٌّ  
مثلّ له بكلمة (صاحب)، والتي - كما رأينا - يتعدّد معناها مع كلّ ضميمّة تتوارد معها،  
ووجه آخر سماء " التّلازم "؛ وهو تضامٌ نحويٌّ مثل: رغب فيه طلبه، وعنه  
كرهه، وإليه استعانه... إلخ، كما أشار إلى ما يعرف بـ: " التّعبيرات المسكوكة " وعدّها من  
قبيل التّضام، وهي عبارات تبدّدت معانيها البيانية واضمحلت إلى أن صارت كالأمثال  
التي لا يعثورها التّغيير، نحو: (يضرب أحماسًا في أسداس ) و( يلقي الحبل على الغارب )  
وغيرها (109).

وجملة الأمر أنّ الدكتور تمام حسان قد أجاد فعلاً بحث هذه الأداة وتفعيلها في  
النظام اللّغويّ لعربيتنا نظريّةً وتطبيقاً ، وأنّ تأثره بأستاذه فيرث كان واضحاً وملموساً،  
من خلال تصوّره للمعنى وأساليب الوصول إليه، عبر استخدام الطّرق التحليلية التي  
تقدّمها فروع الدّراسات اللّغوية المختلفة: الصّوتيات والصّرف والنحو (الأدوات تحليل  
المعنى الوظيفي)، ثم المعجم ليتشكّل بمجموعها مع القرائن المقالية المصاحبة للمعنى  
المقاليّ وهو قسيم المعنى المقاميّ في المعنى الكلّي " المعنى الدّلاليّ " .

وبالموازاة مع الدكتور تمام نجد الدكتور كمال بشر يحتفي بالمدرسة الاجتماعية،  
ويعلن صراحةً تبنيه لأرائها قائلاً: "... ونحن من جانبنا لا يسعنا إلا أن نتبع هذه  
المدرسة؛ لأنّ في مناهجها ما يكفل لنا الوصول إلى نتائج صحيحة خالية من الاضطراب

والخلط (...) تذهب إلى أنَّ المعنى اللغويّ ليس إلا مجموعة الخصائص والمميّزات اللغويّة للحدث اللغويّ<sup>(110)</sup> ، ويدحض باقي المناهج كالمنهج العقليّ والنفسيّ والسلوكيّ، لأنّها في نظره إمّا تؤدّي إلى الخلط في مراحل البحث عن المعنى ونتائجه أو لكونها غريبة عن اللّغة ودخيلة على الدرس اللغويّ، أو لأنّها تنظر للمعنى كما لو كان مجموعة مثيرات واستجابات آلية خالية من العوامل الإنسانية، والتي كما قال: "... علينا أن نعترف بها و أن نشير إليها، ولكن في أسلوب لغويّ محض، هذا الأسلوب اللغويّ المحض هو ما سارت عليه المدرسة التي يرأسها الأستاذ " فيرث"، والتي ترى أنَّ المعنى اللغويّ هو مجموعة الخصائص والمميّزات اللغويّة للحدث المدروس، وهذه الخصائص لا تُدرّس دفعةً واحدة بل لا بدّ من تناولها على مراحل أو مستويات مختلفة. والمعنى بهذا المفهوم شيء معقد ذو أجزاء أو عناصر مختلفة ، و وظيفة فروع علم اللّغة مجتمعة ببيان هذه العناصر وتحليلها"<sup>(111)</sup> .

ويدعو الدكتور كمال بشريّ إلى تطبيق وممارسة هذا النمط من الدّراسة القائم على تحليل المستويات اللغويّة للتركيب أو المنطوق مع الأخذ بعين النّظر ما أسماه (المسرح اللغويّ) - Linguistic Theatre بما فيه من الملامح الصوتية الموجهة أو النطق وألوانه الذي يساهم بقدر كبير في تعيين الدلالة في النص المنطوق. بيد أن الصعوبة تكمن في النصوص المكتوبة ، أين تنعدم عناصر عدّة ، أهمّها العنصر النطقيّ، ومن أجل ذلك فهو يقترح السعيّ - قدر الممكن - إلى خلق أو محاولة تصوّر مسرح مناسب للنصّ بالاعتماد على ثقافة واسعة ، ولباقة ، وذكاء ، و إدراك بالقدر المطلوب<sup>(112)</sup> .

ومجمل القول ، إنّ دراسة الدكتور محمود السّعران للسياق كانت في عمومها دراسة نظريّة، أظهر من خلالها تأييده لهذه الطريقة من طرق دراسة المعنى، فقلّ عنصر التطبيق والتّمثيل ربّما لطبيعة الكتاب، وكما هو ظاهر من عنوانه فهو مقدّمة للقارئ العربيّ فقط ، وغلبة الطابع النظريّ لمسناها كذلك عند الدكتور كمال بشريّ، وربما كان الدكتور تَمّام حسان أكثرهما شواهدًا وأمثلةً وبسطًا للنظريّة، فمثلما رأينا لم يكتفِ بنقل آراء أستاذه فقط، بل وظّفها وفعلّها على أرض الواقع وطبّقها على لغتنا العربيّة، فبنى كتابه " اللّغة العربيّة معناها ومبناها " وفق هذه النظريّة منهجًا وتطبيقًا .

وإثر نقل اللغويين الثلاثة النظريّة السياقية - وغيرها من المباحث والدّراسات الألسنية الغربيّة الحديثة - تلقّفها الباحثون والدّارسون العرب المحدثون مقتصرين على

مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر  
الشرح والتوضيح والعرض لقواعدها، والاكتفاء بالوقوف عند ذلك الحد في الغالب ، اللهم  
محاولات محمودة لقلّة منهم أثرت التعمق والتعميق ، بتتبع سير النظرية وما آلت إليه  
ورصد صورتها المطوّرة .

وممن تصدّى لهذا العمل على سبيل المثال الدكتور حلمي خليل في كتابه: (   
العربية وعلم اللغة البنيوي ) و ( مقدّمة لدراسة التراث المعجمي ) و ( مقدّمة لدراسة علم  
اللغة ) و ( الكلمة دراسة لغوية معجمية ) ، و بشيء من التفصيل يبحث نظرية فيرث  
اللغوية أو المدرسة الاجتماعية البريطانية، ويستعرض أركان التحليل اللغوي عند فيرث مع  
التمثيل لذلك (113) في أكثر من مصنف ، ويعدّ هذه النظرية نظرية بنيوية لأنه... لكي  
نصل إلى المعنى لا بدّ أن نستخدم طرق التحليل اللغوي التي توصل إليها علم اللغة  
البنيوي... " (114).

يعرّف السياق اللغوي بأنه "...الأصوات والكلمات والجمل ، كما تتّابع في حدث  
كلامي معيّن أونصّ لغويّ ، فالأصوات مثلاً تكون - عادة - خاضعة للسياق الذي  
تتركب فيه ، فيتأثر كلُّ صوت بما يتقدّمه أو يأتي بعده من أصوات ، مثال ذلك صوت  
اللام المفخّمة كما في قولنا: ( والله ) ، والمرقّقة كما في قولنا: ( بالله ) حيث يختلف صوت  
اللام في كل منطوق تبعاً للفونيم الذي يسبق لفظ الجلالة ... " (115).

ويرى أنّ متلقي جملة ( من فضلك اعطني هذا الكتاب الضخم ) سوف يفهم معناها  
بلا شكّ بما أنّه يتمنّع بقدر معقول من التحكم في لغته، " فكلمة ( كتاب ) تدلّ على شيء أو  
نوع محدّد من الأشياء كذلك كلمة ( ضخم ) تستعمل في وصف شيء ما، أو أشياء أخرى  
ينطبق عليها هذا الوصف، وهي في الجملة السابقة تصف الشيء المطلوب، وهو الكتاب،  
كما تدلّ كلمة ( اعطني ) على الحدث المطلوب، وقد يعرف - إذا كان على درجة من  
الثقافة - أنّها فعلٌ وأنّها تختلف عن كلمة كتاب التي هي اسم (116) مع الأخذ بعين  
النظر الظروف المقاميّة المُصاحبة . والملاحظ أنّه حلّ وفق المستويات اللغوية مكونات  
الجملة متأثراً بمنهجية فيرث رابطاً نتائجها بما أمكن بالحيثيات غير اللغوية التي تساهم في  
عملية تقصي المعنى . ويصل الدكتور حلمي خليل إلى نتيجة مفادها "... أنّ المعنى  
الحقيقي للكلمات لا يكون إلا من خلال السياق (117) ، و "... أنّ نظرية السياق تُشكّل  
بلا شكّ ركناً هاماً من أركان علم الدلالة الآن ... " (118).

ولم يكتفِ بإبداء رأيه في النظرية بل انبرى يرصدها في الموروث اللغوي العربي، محاولاً إظهار أوجه استخدام القدماء للسياق بنوعيه ومدى إدراكهم لأهميته، إذ "... إن فكرة السياق ودلالته على المعاني الحقيقية للكلام كانت مطروحة في الفكر الإنساني منذ أفلاطون و أرسطو وعلماء البلاغة العربية، إلا أن الفضل في إعادة الحياة إلى هذه الفكرة يعود إلى "فيرث" الذي صاغ منها نظرية علمية في دراسة اللغة، قد تلتقي في بعض جوانبها مع آراء القدماء من علماء العربية أو غيرهم ، ولكنها بلا شك تختلف من حيث المنهج والتحليل والتطبيق " (119).

وقد حفل كتابه (مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي) بأمتة كثيرة ، تعقب من خلالها الملامح السياقية في المدونة التراثية العربية ، أثناء بحثه طرق تفسير العلماء للألفاظ ، وكان التفسير بالسياق ( بنوعيه) والتفسير بالتلازم أو المصاحبة أبرز تلك الطرق .

فطرح هاتين الطريقتين في التفسير في أغلب النماذج التي ساقها والأسماء التي انتقاها، ومن ضمن تلك الأسماء مثلاً : الخليل في معجمه (العين)؛ حيث قال عنه: " ولا شك في أن الخليل كان يدرك وظيفة السياق بشقيه اللغوي والاجتماعي، في تحديد المعنى أو إيضاحه، يؤكد ذلك استخدامه للشواهد بكثرة سواء أكانت من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الشعر العربي أو كلام فصحاء العرب... " (120)، ويضيف قائلاً: " أمّا السياق اللغوي فيستشهد به كثيراً ويحكمه في دلالة الصيغة أو الاستعمال فمن ذلك مثلاً في مادة [ب دح]... " (121)، ليختم كلامه عن التفسير بالسياق عند الخليل بقوله: " والتفسير بالسياق سواء الاجتماعي أو اللغوي في معجم العين أكثر من أن يُحصى ويحتاج إلى درس مستقل، خاصة السياق اللغوي الذي يضع بين أيدينا حقائق كثيرة عن المصطلحات اللغوية والنحوية والصرفية في هذه الفترة المبكرة من حياة الدرس اللغوي عند العرب" (122).

والأمر نفسه ينطبق على لغويين آخرين استقصى الدكتور حلمي خليل معاجمهم ساعياً من ذلك إلى تبين أساليبهم في التفسير، وطرقهم في الشرح ، ومن أولئك: ابن منظور في (لسان العرب) (123) ، والثعالبي في (فقه اللغة وسر العربية) (124) ، وابن سيده في (المخصص) (125) وغيرهم .



مجلة المخبّر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر  
وفي خطوة متميزة سعى الدكتور محمود نحلة إلى بحث النظرية اللغوية عند  
هاليداي والتي تسمى بـ : "علم اللغة النظامي"، إذ ذكر الدكتور محمود أنه قام في مبدأ  
أمره على أفكار اللغوي الإنجليزي فيرث، ثم طوّرها هاليداي ومنحها التماسك والوضوح  
والتأطير المحكم، وزاد عليها بأن نهّل من مصادر أخرى من أهمها: بحوث مالينوفسكي،  
وآراء هلمسلف، ومدرسة براغ وغيرها (126)، وبالتالي قدّم لنا الدكتور محمود كتاباً تتبّع  
من خلاله - وبدقة متناهية - نشأة هذه النظرية التي قوامها جهود فيرث، خاصةً نظرية  
السياق، وكيف نمت وتطوّرت، والتغيّر الذي شابها إن بحذف أو إضافة أفكار ومعارف  
أخرى، رسمت في مجموعها المسار التطوري لنظرية فيرث .

زد على ذلك، إمعان الدكتور في توضيح تلك الأفكار والأسس التي بنيت عليها  
تلك النظرية في صورتها المطوّرة، بتقديم الأمثلة التطبيقية من اللغة العربية (127)، وكما  
يقول : " وقد كنت حريصاً طوال البحث على إيراد الأمثلة من اللغة العربية إشعاراً بيُسّر  
تطبيق هذه النظرية على اللغة العربية ، حتى يتاح لي أو لغيري دراسة اللغة العربية من  
خلال ما قدمه هاليداي من أسس منهجية وطرائق في التحليل، فهاليداي نفسه يرى أنّ  
أية نظرية ليست جديرة بأن تسمى نظرية إلا إذا أمكن تطبيقها على كل اللغات" (128).

بعد هذه الجولة في رحاب السياق اللغوي ومطانه في السدرس اللغوي الحديث  
غربيّه و عربيّه، لامناص من القول جزماً بأنّ هذا النمط من السياق بمختلف عناصره و  
مستوياته و محدّداته قد لاقى القبول و الاستحسان من حيث كونه وسيلة إجرائية فاعلة  
لتصديد المعنى و تقفي مواطن الدلالة، و هذا الأمر تجلّى عند كثير من الغربيين و حتى  
العرب لاسيما منهم الذين عاصروا أو تتلمذوا على يدي مؤسس الاتجاه السياقي المؤطر و  
المقنن اللساني فيرث، و لا ضير من الإشارة ختاماً إلى أنّ هذه النظرية جسدت اللبنة  
الأساسية و الأرضية التي ولدت ما يعرف بـ (( النظرية المقاماتية)).

#### الهوامش

(\*)- هذه المدارس هي: مدرسة براغ، ومدرسة كوبنهاجن، والمدرسة الأمريكية.

<sup>1</sup> - للتوسّع أكثر في ماهية هذه المدرسة ومبادئها ينظر مقال:

"The Methodological Back ground British Traditions of Text  
Analysis, correlative register Analysis and corpus linguistics"

على شبكة المعلومات العالمية في الموقع :

<http://www.kielikanava.com/char5.html>

<sup>2</sup> - د. حلمي خليل : الكلمة (دراسة لغوية معجمية) ، ط 2، دار المعرفة الجامعية ، 1998م، ص 95 .

<sup>3</sup> - د. محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداى، (د-ط)، ملتقى الفكر، الإسكندرية، 1998م، ص 29.

<sup>4</sup> - نفسه .

see: Firth, J.R: The Tongues of men and speech , London ,(1964),

<sup>5</sup>-p.110

<sup>6</sup> - د. علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسات)، ط 1 دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد 1986، ص 174، وينظر: جون لاينز مقال) ما معنى نظرية المعنى عند فيرث؟)، تر. د. عبد الكريم مجاهد، مجلة آفاق عربية، ع:12، كانون الأول، 1990م، ص 60، 63.

<sup>7</sup> - د. علي عزت : الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، (د-ط) ، القاهرة، 1996، ص 11-12.

<sup>8</sup> - بسام بركة: علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربية)، (د-ط) ، مركز الإنماء القومي، بيروت - لبنان، (د-ت)، ص 6.

<sup>9</sup> - ينظر: د. البدر اوي زهران، مقدّمة في علوم اللغة، ط 5، دار المعارف،

القاهرة، 1993م، ص 199 ، وينظر أيضاً: أ. أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية (حقل تعليمية اللغات)، (د-ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000م، ص 11.

<sup>10</sup> - فندريس: اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، (د-ط)، القاهرة، 1950م، ص 83.

<sup>11</sup> - للتوسع أكثر في ماهية الفونيم وأليات الدراسة حوله؛ ينظر: رومان جاكوبسن: ستّ محاضرات في الصوت والمعنى، تر. حسن ناظم علي حاكم صالح ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان ، 1994م ، ص 59 وما بعدها.

<sup>12</sup> - بسام بركة: علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربية)، ص 177.

- 13 - ينظر: د. محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي، ص 17-18.
- 14 - ينظر: د. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (د-ط)، مكتبة الأنجلو ، القاهرة، 1959م، ص 70.
- (\*\*\*)- للنبر قيمة صرفية في بعض اللغات ومنها الإنجليزية حيث يحدّد فيها موقع النبر في الكلمة اسميتها أو فعليتها، فإن كان النبر في المقطع الأول للفظة كانت اسماً، وإن وقع في مقطعها الثاني كانت فعلاً، ونحو كلمة ( import ) فهي اسم إن نُبرَ أولها (، import) ، و فعل إن نُبرَ مقطعها الثاني(im, port)(،"رمز لموقع النبر).
- 15 - د . تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ-1998م، ص 226 .
- 16 - د . كريم زكي حسام الدين : أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، الطبعة الثالثة مزيدة و منقحة، القاهرة، 1421هـ-2001م، ص 164 .
- 17 - د . عاطف مذكور: علم اللغة بين التراث و المعاصرة،(د-ط )، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م، ص 104 .
- 18 - ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، ص 167 .
- 19- ينظر : د . خليل أحمد عميرة ، في نحو اللغة وتراكيبها (منهج و تطبيق )، ط 1 ، عالم المعرفة، جدّة ، 1414هـ - 1984م ، ص 26، وينظر أيضاً: دنور الهدى لوشن، علم الدلالة ، ص 84 .
- 20 - د .محمد التونجي و أ. راجي الأسمر: المعجم المفصّل في علوم اللغة (الألسنيات)، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1414هـ - 1993م، 2 / 635 .
- 21 - د . منذر عياشي: اللسانيات والدلالة - الكلمة -، ط 1 ، الناشر: مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1996م، ص 54
- 22 - د . محمود أحمد نحلة : علم اللغة النظامي ، ص 29
- 23 - ينظر : نفسه ، ص 19 ، 30 .
- 24 - د . ميشال زكريا : الألسنية ( علم اللغة الحديث ) المبادئ والأعلام ، ط 2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت 1403هـ - 1983م، ص 283 .

- 25 - د . سعيد حسن بحيري :علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات، ط 1، الشركة المصرية العالمية للنشر لو نجمان ، 1997م ، ص 26 .
- 26 - د . محمود سمارة أبو عجمية : اللغة العربية ، نظامها وأدبها وقضاياها المعاصرة ، ط 1 ، مطابع الدستورية التجارية ، عمان - الأردن ، 1409هـ - 1989 م ، ص 28 .
- 27 - د . تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 341 .
- 28 - د . مصطفى حميدة : نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، لونجمان، القاهرة ، 1997م، ص 131 .
- 29 - د . منذر عياشي: اللسانيات والدلالة (الكلمة)، ص 19 .
- 30 - ينظر: د . عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ط3 ، مطبعة الجبلوي، مصر، 1409 هـ - 1989 م ، ص 331 ، و د. حلمي خليل: مقدّمة لدراسة علم اللغة،(د-ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000م، ص 153 - 154 .
- 31 - ينظر: د.حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث،(د-ط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 134 - 135 .
- 32 - ينظر: د . علي زوين ، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ( دراسات) ، ص 174 .
- 33 - ينظر : د. محمود أحمد نحلة ، علم اللغة النظامي ، ص 19 ، 33 .
- 34 - د. محمد حسن عبد العزيز : المصاحبة في التعبير اللغوي،(د-ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990م، ص 13 .
- 35 - ف.ر.بالم: علم الدلالة إطار جديد، تر. د.صبري إبراهيم السيد، (د-ط) ، دار المعرفة الجامعية، 1999م ، ص 145. وللتوسّع أكثر، ينظر: مقال(Linguistic context) على الموقع:

<http://sch-yuri.narod.ru/sema/palmer3html>

- 36 - ينظر: محمد محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية"دراسة حول المعنى ومعنى المعنى"،(د-ط)، مطابع أديتار، منشورات جامعة الفتح، الجماهيرية العظمى، 1993م، ص 104 .

- 37 - للتوسع أكثر ينظر : د. علي عزت، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، (د-ط)، القاهرة، 1996م، ص 30 وما بعدها.
- 38 - ينظر : د. محمد حسن عبد العزيز، المصاحبة في التعبير اللغوي، ص 17.
- 39 - ينظر : د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط1، دار الفكر، دمشق، 1416 هـ - 1996 م ، ص 300-301.
- 40 - أ. أحمد حساني: السمات النفرعية للفعل في البنية التركيبية - مقارنة لسانية، (د-ط)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993 م ، ص 126.
- 41 - د. محمد حسن عبد العزيز : المصاحبة في التعبير اللغوي ، ص 24.
- 42 - نفسه ، ص 20.
- 43 - نفسه ، ص 29.
- 44 - د. علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب و تحليل الخطاب ، ص 33-34.
- 45 - من الذين أفاد منهم هاليداي كذلك : مالمينوفسكي و وورف وهلمسليف ومدرسة براغ ، ينظر : د. محمود نحلة، علم اللغة النظامي ، ص 36 - 44.
- 46 - see : graham Wilcock in :  
hTTP: // www. ling.helsinki.Fi/ngwilcock/tartu/gw-MSc  
thesis/node1e.html
- 47 - See: Carol A. Chapelle : (some Notes on systemic functional linguistics) in:  
<http://www.wagsoft.com/systemics/definition/chapelle.html>
- 48 - Ibid : under title : ( what is the relevant unit of analysis ? ).
- 49 - ينظر : د. محمد خطابي، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، 1991 م ، ص 255.
- 50 - ينظر : د. محمد أحمد نحلة، علم اللغة النظامي ، ص 58.
- 51 - للتوسع أكثر ينظر : لوريتو تود ، مدخل إلى علم اللغة ، تر. د. مصطفى التونسي ، (د-ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994 م ، ص 107 - 109.
- 52 - جان سيرفوني: الملفوظية - دراسة، تر. د. قاسم المقداد، (د-ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، 1998م، ص 11.

- 53 - د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، (د-ط)، سلسلة عالم المعرفة (164)، الكويت، صفر 1403هـ - أغسطس 1992م، ص 20.
- 54 - د. صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي، (د-ط)، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص 32.
- 55 - فرديناند ده سوسر: محاضرات في الألسنتية العامة، تر. يوسف غازي ومجيد أبو النصر، (د-ط)، دار نعمان للثقافة، جونية- لبنان، 1984م، ص 149.
- 56 - نفسه .
- 57 - فندريس: اللغة، ص 231، وينظر النسخة الإنجليزية : Vendryes, J. Language (A Linguistic Introduction To History) , Translated by Paul Radin , 1996, Routledge , London and Newyork, p.180
- 58 - فندريس : اللغة، ص 228، 242 . -Ibid
- p.177,188
- 59 - نفسه ، ص 252 . Ibid
- p.197
- 60 - نفسه . Ibid
- p.197
- 61 - نفسه ، ص 104 . Ibid
- p.73
- 62 - نفسه ، ص 241 . Ibid, p.187
- 63 - نفسه ، ص 295 . 213
- Ibid, p.
- 64 - ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر. و. تع. كمال بشر، ط 12، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، (د-ت) ، ص 134.
- 65 - فندريس : اللغة ، ص 273.
- Ibid, 214
- 66 - ينظر: ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة، ص 134.
- 67 - فندريس : اللغة ، ص 254. Ibid, p.198

<sup>69</sup> - جون لاينز: علم الدلالة ، تر. مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر، (د-ط)، مطبعة جامعة البصرة، 1980م ، ص 23.

John Lyons, (1995), Linguistic Semantics (an introduction), combridge university press, P.258

<sup>71</sup> - ينظر: جون لاينز، اللغة و المعنى و السياق، تر. د. عباس إحسان صادق الوهاب ، مراجعة: د. يوثيل عزيز، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م، ص 222، وينظر:

Linguistic Semantics,p.265-266

- See :John Lyons ,

<sup>72</sup>-John Lyons, (1985), language and linguistics (an introduction), combridge university press, p.9

<sup>73</sup> -see, Ibid, p.140

<sup>74</sup> - بيارغيرو : علم الدلالة، تر. أنطوان أبو زيد (د-ط) ، منشورات عويدات،

بيروت، 1986م ، ص 29 ، وينظر المصدر نفسه ، تر. منذر عياشي، (د-ط) ، دار طلاس ، دمشق ، 1992م ، ص 157 .

<sup>75</sup> - بييرجيرو: علم الإشارة السيميولوجيا ، تر. د. منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1992م، ص 60.

<sup>76</sup> - ينظر : نفسه ، ص 144. و للتوسع أكثر في جزئية السياق في الدرس اللساني الغربي الحديث ينظر : د. فاطمة الطبال بركة : النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسن ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، 1413هـ - 1993م، ص 59، 69، 130. وأندريه مارتينه: وظيفة الألسن وديناميتها ، تر. نادر سراج ، ط 1 ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، 1416هـ - 1996م ، ص 211-212

<sup>77</sup>-See: Geoffrey N.Leech, A Linguistic Guide To English Poetry (1987), Longman, London and New york , p. 201, 183

See, Geoffrey Leech, Semantics ( 1978), A Pelican Original, Great Britain, p.77-78.

<sup>79</sup>Cruse , D.A:Lexical Semantics, (1987), Cambridge University Press, p.1

<sup>80</sup> - Ibid, p.9

<sup>81</sup>- See: Ibid, p.68

<sup>82</sup>- See: Ibid, p. 69

<sup>83</sup> - ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ص68.

<sup>84</sup> - نفسه ، ص69.

<sup>85</sup> - نفسه.

<sup>86</sup> - ينظر : نفسه ، ص70 - 74.

<sup>87</sup> - ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة ، ص73.

<sup>88</sup> - نفسه ، ص74.

<sup>89</sup> - طالب سيد هاشم الطيباني: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب،(د-ط)، مطبوعات جامعة الكويت ، طباعة شركة المطبعة العصرية ومكتباتها ، الكويت، 1994م ، ص أ من المقدمة.

<sup>90</sup> - د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط1، مكتبة دار العروبة للنشر و التوزيع، الكويت، 1402هـ-1982م، ص72

<sup>91</sup> - ينظر: د.صلاح إسماعيل، فلسفة اللغة و المنطق (دراسة في فلسفة كواين)،(د-ط)، دار المعرفة، القاهرة، (د-ت)، ص222-223.

<sup>92</sup> - د . محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، (د - ط)، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998 م، ص 40.

<sup>93</sup> - جون لاينز: علم الدلالة ، تر. مجيد عبد الحليم الماشطة وآخرين ، ص 23 .

<sup>94</sup> - جورج موانان: مفاتيح الألسنية ، تر. الطيب البكوش ، (د-ط) ، منشورات سعيدان ، الجمهورية التونسية، 1994م ، ص125، وينظر: بول فابر و كريستيان بايلون، مدخل إلى الألسنية (مع تمارين تطبيقية)، تر. طلال وهبة، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، 1992م ، ص 184 .



- 95 - د . صلاح إسماعيل عبد الحق : التحليل اللغويّ عند مدرسة أوكسفورد ، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، 1993 م ، ص 290 .
- 96 - نفسه ، ص 297 - 298 .
- 97 - نفسه، ص 299 ، وينظر: نفسه، ص 300 ، وفلسفة اللغة والمنطق ، ص 226 - 227
- 98 - د. محمود السّعران: علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417 هـ - 1997 م، ص 12 .
- 99 - آل عمران [ 96 - 97 ] .
- 100 - ينظر: د.محمود السّعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، ط2، دار الفكر العربيّ القاهرة، 1417 هـ - 1997 م، ص 217
- 101 - د.تمّام حسان : اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب ، القاهرة ، ط 1421 هـ - 2001 م ، ص 117 .
- 102 - د.تمّام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، ص 28 - 29 .
- 103 - ينظر : نفسه ، ص 29 .
- 104 - ينظر في المعنى الصوتي: نفسه، ص 76-77 و 171 ، وفي المعنى الصرفي: نفسه، ص 35-36 و 82 ، أمّا النحويّ ينظر: نفسه، ص 36-37 .
- 105 - د.تمّام حسان: البيان في روائع القرآن - دراسة لغوية وأسلوبية للنّص القرآنيّ ، ط 2 ، عالم الكتب ، 1420 هـ - 2000 م ، 1 / 370 .
- 106 - د . تمّام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 323 - 324 .
- 107 - ينظر : نفسه ، ص 324 .
- 108 - نفسه ، ص 94 .
- 109 - ينظر: نفسه ، ص 331 .
- 110 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة ، هامش ص 31 .
- 111 - نفسه ، هامش ص 81 .

- 112 - ينظر: د . كمال بشر، دراسات في علم اللغة ( القسم الثاني)، ط 2 ، دار المعارف، مصر، 1971م، ص 65 - 66
- 113 - ينظر: د . حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 131 - 135 .
- 114 - نفسه، ص 135 .
- 115 - د. حلمي خليل: الكلمة دراسة لغوية معجمية ، ط 2 ، دار المعرفة الجامعية، 1998م ، ص 161
- 116 - د. حلمي خليل: مقدّمة لدراسة التراث المعجميّ العربيّ، ط 1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997 م ، ص 51 .
- 117 - د. حلمي خليل : الكلمة دراسة لغوية معجمية، ص 163 .
- 118 - نفسه ، ص 162 .
- 119 - د. حلمي خليل : مقدّمة لدراسة علم اللّغة، ص 153.
- 120 - نفسه .
- 121 - نفسه ، ص 155 .
- 122 - نفسه .
- 123 - ينظر: نفسه، ص 272 وما بعدها .
- 124 - ينظر: نفسه، ص 343 وما بعدها .
- 125 - ينظر: نفسه ، ص 364 وما بعدها .
- 126 - ينظر: د . محمود أحمد نحلة ، علم اللغة النظامي ، ص 5 .
- 127 - ينظر على سبيل المثال : نفسه ، ص 92 وما بعدها.
- 128 - نفسه ، ص 166 .